﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: 4]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

من صفات المُؤمنين الإيمانُ بجميع الكتب المُنَزَّلة، واليقينُ بالآخرة

هذه الآيةُ معطوفَةٌ على الآية قبلَها، والمُنَاسبة بينَهُما ظاهِرَةٌ؛ فإنَّ هذه الآيةَ استمرارٌ لذِكْرِ أوصاف المُتَّقِينَ، فكِلَتا الآيَتَيْنِ اشْتَمَلت على خِصالِهِمْ وخَصائصهم.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يُقَال: هذا الآخِرُ وهذهِ الآخِرَةُ، وهما ضِدُّ: المتقدِّم والمتقدِّمَة، ويُطْلَق الآخِرُ على الأبعَدِ والغائبِ[1].

والآخرةُ: نقيض الدُّنيا، وسُمِّيَت الدُّنيا لأنَّها دَنَتْ؛ أي: قرُبَت، وتأخَّرَت الآخِرةُ[2]، وسُمِّيت الآخرةُ بذلكَ؛ لِكَوْنِها آخرَ المنازِلِ، فَلا انْتِقَالَ عَنْهَا إلى دارٍ أُخْرَى[3]، وأمَّا انْتِقَالُ الخَلْقِ إلى الجنَّةِ أو إلى النَّارِ؛ فإنَّ ذلك مِن أحوال الآخرَةِ.

2) ﴿يُوقِنُونَ﴾: فعلٌ مضارع مِنَ الفعل (أَيْقَنَ)، والمصدَرُ: الإيقَانُ، واليَقِينُ مِن صِفَات العلْمِ.

وحدُّ اليقين: سُكُونُ الفهم معَ ثباتِ الحُكْم[4]، وقيل: هُوَ العلمُ الذي لا تَتَطَرَّقُهُ الشُّكوكُ ولا الأوهامُ، وَلا يَقْبَلُ التَّغَيُّرَ بحالٍ[5]، وقيل: هو إزاحةُ الشَّكِّ وتحقيقُ الأمر[6].

وهذه الثَّلاثةُ مُتَآيِلَةٌ يَؤُولُ بعضُها إلى بعضٍ؛ إذْ إنَّ ثباتَ الحكم معناه عَدَمُ قبولِ التَّغيُّرِ، ولا يكون ذلك إلَّا فيما يُقطَعُ به ويُتَحَقَّقُ مِمَّا لا يدخلُهُ الشَّكُّ.

(1) الخليل، العين: (أخر).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (أخر).
(3) الشِّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/370.
(4) الرّاغب، المفردات: (يقن).
(5) الشِّنقيطي، العذب النَّمير: 1/412.
(6) الخليل، العين: (يقن).

أنـواعُ اليقين في القرآن

هذا، وقد ورد في القرآن الكريم ثَلاثةُ ألفاظٍ أُضيفَ كُلُّ واحدٍ مِنْهَا إلى اليقين؛ وهي: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ [التكاثر: 5]، وَ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: 7]، وَ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: 95]، وهي بهذا التَّرْتِيبِ: مُرَتَّبَةٌ بحسب القُوَّةِ بطريقِ التَّرَقِّي[1].

والفَرْقُ بَيْنَهَا[2]:

أَنَّ علمَ اليقين: العِلْمُ المستفادُ مِنَ الأدلَّةِ.

وعينَ اليقينِ: العلمُ المُدْرَكُ بحاسَّة البصر.

وَحقَّ اليقينِ: العلمُ المُدْرَكُ بحاسَّة الذَّوق والمباشرةِ.

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

المُتّقون يُؤمنون بالقُرآن وبكلّ الكتُب المُنْزَلَة على الأنبياء والرُّسُل، ولديهم عِلْمٌ يقينيٌّ بالآخرة، وما فيها من أحوال

والمتّقون الذين يكون القُرآنُ الكريمُ لهم هُدًى هم الذين يُصدِّقون ويُقِرُّونَ إِقْرارًا مُستلزِمًا القبولَ والإذعانَ بالوَحْيِ المُنْزَلِ عَلَيْكَ -أَيُّهَا النَّبِيُّ الكريمُ- قرآنًا وسُنَّةً.

ويُقرُّون ويُصدِّقون تَصْدِيقًا جَازِمًا بِالكُتُبِ المُنْزَلَةِ على الأَنبياءِ السَّابِقِينَ، كالتَّوراة والإنجيلِ والزَّبورِ ونَحْوِهَا، فيُؤْمِنونَ بها إيمانًا إجماليًّا لا تفصيليًّا؛ وذلك لِمَا دَخَلها مِنَ التَّحْرِيفِ بعدُ، وهذا الوصفُ عامٌّ في المؤمنينَ، ويحتمِلُ أن يكون خاصًّا بِمَنْ أسلَمَ مِنْ أهل الكتابِ.

وهم كذلك يُصَدِّقون تصديقًا بقلوبهم يظهر على ألسنتهم وجوارحهم بِيَوْمِ القيامة، وهو اليومُ الآخِرُ، وما فيه مِن كُلِّ ما وقع الإخبارُ بِهِ في القرآن والسنَّةِ؛ كالبعثِ، والجنَّة والنَّارِ، والحسابِ، والميزانِ، والصِّراطِ. وخص يوم الآخرة بالذِّكْر؛ لأنَّ الإيمانَ به من أعظمِ البواعثِ على فِعْلِ الطاعات، واجتنابِ المحرَّمات، ومحاسبةِ النفس[3].

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 15/61.

(2) التَّهانَويّ، كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 2/1814، والسعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 884، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 9/83.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/170، وتفسير المراغي: 1/43، والسعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 40.

## ❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

### فائِدَةُ التَّعْبِيرِ بِالفِعْلِ المُضَارِعِ:

الإشـــارةُ إلى تـجـدُّدِ إيـمـانِ المُتّقين وزيادَتِه

جاءَ التَّعبيرُ بالفعلِ المُضارِعِ في قولِه سبحانه: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿يُوقِنُونَ﴾؛ إشارةً إلى التَّجدُّدِ الاستمراريِّ[1]؛ لأنَّ الكلامَ سيقَ مساقَ المَدْحِ لَهُم، والثَّناءِ عَلَيْهِم بذِكْرِ صفاتِهم الحسنةِ، فإيمانُهم يتَجدَّدُ ويقينُهُمْ يزدادُ كُلَّما زادت معارفُهم مِنْ علومِ الوَحْيِ؛ إذِ الْيَقِينُ وإِنْ كانَ لا يتطرَّق إليهِ الشَّكُّ ولا يحتَمِلُ النَّقيضَ؛ فإنَّه في نفسِهِ مراتِبُ ودرجاتٌ.

### تَكْرَارُ الِاسْمِ المَوْصُولِ للدّلالة عَلَى تَغَايُرِ الصِّفَاتِ أَوْ تَغَايُرِ المَوْصوفِينَ:

تـنـزيـلُ تـغـايُـرِ الـصِّـفـاتِ مـنـزلـةَ تـغـايُـرِ الـذَّواتِ؛ لـمَدْحِ الـمُـؤمـنـين، والثَّناءِ عَلَيْهِم

كُرِّرَ الاسمُ الموصولُ في قولِه سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ للدّلالة على تغايُرِ صِفَاتِ المذكورِينَ، وإلَّا فالمَوْصُوفُ وَاحِدٌ وهُمُ المُتَّقُون المذكورونَ أوَّلًا، تنزيلًا لتغايُرِ الصِّفاتِ مَنزِلةَ تغايُرِ الذَّوات، وهذا أَمْدَحُ للقَوْمِ وأَرجى.

### اِحتِمَالُ تغايُرِ الموصوفين حقيقةً:

ويحتمل أَنْ يكون هذا مِنْ تغايُرِ المَوْصُوفِينَ؛ فتكون الآياتُ قَد ذَكَرَتْ صنفَيْنِ[2]:

أحدهما: المَذْكُورُ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾، وهُمُ الذينَ آمَنُوا مِن مُشْرِكي العربِ.

والآخر: المذكورُ في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾، وَهُمْ مَن آمَنَ مِن أهل الكتابِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/87.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/237.

### إحتمَالُ عَطْفِ الخاصِّ على العَامِّ:

الأرجَـــحُ أن الاسم الموصول دالٌّ عـلى العـمـوم، وهـو أمدح للمؤمنين

ويحتمِلُ أيضًا أَنْ يُرادَ بالموصول الأوَّل في ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ عمومُ المؤمنينَ، وبالثَّاني: خصوصُ مَنْ آمَنَ مِنْ أهلِ الكتابِ؛ فيكونُ ذلك مِنَ الإطنابِ بذِكْرِ الخاصِّ بعد العامِّ؛ "تعظيمًا لشأنِهم، وتَرْغيبًا لأمثالهم وأقرانِهم في تحصيل مَا لَهُم مِنَ الكَمَال"[1].

والأوَّلُ أَظْهَرُ؛ إبقاءً لِلاسْم الموصول على إفادتِه الشُّمولَ والعمومَ -وهو الأصل فيه-، ولأنَّه أَمْدَحُ للمؤمنين؛ فالسِّياقُ في نَعْتِ أوصَافِهم الجَميلَةِ، ولِمَا في الثَّاني والثَّالثِ مِن مُخالفةِ ظاهرِ السِّياقِ مِنْ غير مُقْتَضٍ لذلك[2].

### فائِدَةُ تَكْرَارِ فِعْلِ: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾:

تـكـريـر لـفـظ (يـؤمـنـون) لترسيخ الإيمان في قـلـوب الموصوفين

كُرِّرَ ذكرُ فِعْلِ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ مع قولِه: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ وقولِه: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾؛ لترسيخِ المعنى في الذِّهْنِ، والتَّأثيرِ في القَلْبِ[3]، أو "للإيذانِ بأنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ الإيمانِ بِمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ مِنَ الأمورِ الغائبةِ والإيمانِ بِمَا يَشْهَدُ بِثُبُوتِهَا مِنَ الكُتُبِ السَّماويَّة، نعتٌ جليلٌ على حِيالِه، له شأنٌ خطيرٌ مُسْتَتْبِعٌ لأحكامٍ جَمَّةٍ، حقيقٌ بِأَنْ يُفْرَدَ له مَوْصُوفٌ مُستَقِلٌّ، ولا يُجعلَ أحدُهما تَتِمَّةً للآخَر"[4].

### بلاغةُ التَّعبيرِ بقولِه تعالَى: ﴿أُنزِلَ﴾ يقتضي تَعْظِيمَه وَتَعَيُّنَه:

الالـتـفـاتُ عـنِ الـتَّـكـلُّـمِ إلى الغَيْبَةِ لِلعنايةِ بِصِفَاتِ المُنْزَلِ نظرًا وإيمانًا

بُنِيَ الفعلُ ﴿أُنزِلَ﴾ في الموضعَيْنِ لِما لم يُسَمَّ فاعلُهُ؛ للعِلْمِ به؛ لكونِه مُتعيِّنًا، وَتَعْظِيمًا لِلمُنْزِلِ.

وفيه مع بناء الفعل لِلمَعلومِ ضَربٌ من ضُروبِ الالتفاتِ[5]؛ فإنَّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/32.
(2) محمّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/109.
(3) محيي الدِّين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/26.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/32.
(5) الالتفات: التّعبير عن معنًى بطريقٍ من الطّرق الثلاثة: التّكلّم والخطاب والغيبة، بعد التّعبير عنه بطريق آخر منها، ورأى السّكّاكيُّ: أو يكونُ مقتضى الظّاهر التّعبيرَ بطريقٍ منها، فعُدل إلى الآخر؛ ينظر: التفتازاني، شرح المختصر: 1/115-116.

اللّه تعالى قال قبلُ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وقال هنا: ﴿أُنزِلَ﴾؛ ففيه خروجٌ مِن ضمير التَّكلُّم إلى ضميرِ الغَيْبَةِ[1]، ولعلَّ نُكْتَةَ العدُولِ ههنا عن (أَنْزَلْنَا) إلى ﴿أُنزِلَ﴾: هي الإيماءُ إلى أنَّ الإيمانَ بالمُنْزَلِ إنَّما هو لِصِفَاتٍ فيهِ تقتضي صِحَّتَهُ وصدقَهُ لا بمجرَّدِ دَعْوَى كونِهِ من عند اللّهِ تعالَى[2].

### تعدّي الفعل ﴿أُنزِلَ﴾ بـ(إلى) وبـ(على):

تَضْمِينُ الْفِعْلِ (أُنْـزِلَ) مَعْنَى الغَايَةِ والوصول

الأصلُ وَالشّائعُ في فِعْلِ الإنزالِ أن يُعدَّى بـ (عَلَى)، لكِنَّه عُدِّيَ هنا بـ (إلَى)؛ تنبيهًا إلى أنَّ فعل الإنزال مُضَمَّنٌ معنى الوُصُولِ، "فالْمُنْزَلُ إِلَيْهِ غَايَةٌ لِلنُّزُولِ"[3].

وتعديةُ إنزال الكتاب وردَت في القرآنِ تارةً بـ (على) وتارة بـ (إلى)؛ مِنْ بَابِ التفنُّنِ في الكلام؛ فَإِنْ أُرِيدَتِ الإشارةُ إلى أَنَّ المُنْزَلَ إِلَيْهِ غايةٌ للنُّزول؛ عُدِّيَ بـ (إلَى)، وإِنْ أريدَ بَيانُ أنَّ المُنْزَلَ استقرَّ عِنْدَ المُنْزَلِ عَلَيْهِ وتمكَّن مِنْهُ؛ عُدِّيَ بـ (عَلى)[4].

ويُمكِنُ أن يُوَجَّهَ كلامُ ابن الزُّبَيْرِ الغَرناطيِّ بما يُوَافِقُ هذا؛ فقد قَالَ: "تارةً يُرَاعى وصولُ المُنْزَلِ بواسطة المَلك، وتارةً يُرَاعَى وصولُه مِنْ عند اللّه سبحانه مِنْ غير واسطة، فإِذَا رُوعِيَ هذَا قِيلَ: (عَلَيْكَ)، وإذا رُوعِيَ الأوَّلُ قِيلَ: (إِلَيْكَ)"[5].

### نُكتَةُ تَغْلِيبِ مَا أُنْزِلَ عَلَى مَا سَيَنْزِلُ:

إِيمانُ الْمُؤمنِ بالقرآنِ كلِّه قبلَ اكتمالِ نُزولِه، دليلُ إيمانٍ يستدعي مَدْحًا وثناءً

قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وهذا -في الظَّاهر- يتنَاوَلُ ما نَزَلَ قبلَ هذه الآيةِ، إلَّا أنَّ ما سَينزِلُ بعدُ مُرَادٌ أيضًا؛ إِذْ لا يُمْدَحُ مَن آمَن بما أُنْزِلَ ولا يؤمِنُ بِما سَينزِلُ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/71.
(2) نَظِيرُهُ عند: بسيوني فيّود، علم المعاني، ص: 258.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/239.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/239.
(5) ابن الزّبير الغرناطيّ، مِلاك التّأويل: 2/424.

ولإرادةِ ما سينزِلُ خمسةُ مسالكَ:

أوَّلُها: أنَّ ما سينزِلُ مُتَرَقَّبٌ إيمانُهم بهِ؛ "إذْ مِنَ المعلوم أنَّ الذي يُؤمِنُ بما أُنزِل؛ يَسْتَمِرُّ إيمانُه بكُلِّ ما ينزِلُ على الرَّسولِ؛ لأنَّ العِنادَ وعدمَ الاطْمِئْنَان إنَّما يكُون في أوَّل الأمر"[1]، فيكون إيمانُهم بِمَا سينزِلُ مُستفادًا مِنْ فَحْوَى الخطاب.

ثانيها: أنَّ قولَه ﴿أُنزِلَ﴾، فيه تغليبٌ لِلمُنْزَلِ على ما سَيَنزِلُ[2].

ثالثُها: أنَّ بعضَ القرآن: قرآنٌ، ولذا صحَّ أنْ يُطلَقَ على مَنْ سَمِعَ بَعْضَ القرآنِ أنَّهُ سامِعُ القرآنِ، كما قال اللّه تعالى عَنِ الجِنِّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: 29]، ولم يكونوا قد سمعوا إلَّا بعضَهُ[3].

رابعُها: أنَّهُ نُزِّلَ ما يُتَوَقَّعُ نُزولُهُ منزلةَ النَّازِلِ؛ لكون ذلك متحقِّقًا[4].

خامسُها: أنَّ ابتداءَ النُّزول إذا كان مستمرًّا يكون ذلك في حُكْمِ نُزُولِهِ كُلِّه[5].

### نُكتَةُ تقْدِيمِ المُتأخِّرِ نُزولًا على المُتقدِّمِ:

تقْديمُ المُنْزَلِ إلَى النَّبي ﷺ على المُنْزَلِ مِنْ قبلِه في قولِه تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ مع تَقَدُّمِهم في الزَّمَنِ؛ لنُكتَتَيْن[6]:

**الإيمانُ بالقرآنِ أشـرفُ، وهـو سببٌ للإيمانِ بِسَائِرِ الكُتُبِ**

أولاهُما: رَعْيٌ للتَّرتيبِ بحسبِ الأشْرَفِ، وهو أحَدُ مُقتضياتِ التَّقديم.

والأُخْرَى: تقديمُ السَّببِ على النَّتيجةِ؛ فالإيمانُ بالمُنْزَلِ على النَّبيِّ ﷺ سَبَبٌ في الإيمانِ بالمُنْزَلِ على الأنبياءِ السّابقين.

### سِرُّ تَقْدِيمِ الجارِّ والمجرورِ على الفعلِ:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ في قوله: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ على فعلِ الإيقانِ؛ اهتمامًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/238.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/42، ويُقارن بما ذكره ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/238-239، والخفاجيّ، عناية القاضي: 1/235.
(3) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/110.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/33.
(5) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/110.
(6) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/115-116.

اليقين بالآخرة شعار المؤمنين

بشأنِ الآخِرَةِ، ومُبالغةً في الثَّناءِ على هؤلاءِ؛ إذْ أيقَنُوا بأولى ما يجبُ على المُؤمنِ الإيقانُ بهِ، مع ما في التَّقديم مِن مُراعاةِ الفاصلةِ بما لا يتحقَّقُ في حالِ تأخيرِهِ[1].

وفي بناءِ الفعلِ على الضَّميرِ إيماءٌ لِدلالة التَّركيبِ علَى القَصْرِ؛ تعريضًا بمَن عدَا المذكُورين؛ فإنَّ معتقداتِهم في الآخرةِ وأحوالِها مُتزَحْزِحةٌ عاريةٌ عَنِ الصِّحَّةِ، فَضْلًا عن أنْ تَصِلَ إلى رُتبة اليقين[2].

### نكتةُ إسنادِ فعلِ الإيقانِ إلى فاعِلِه مرَّتَين:

توكيدُ الفعل يُقَوّي الخبر، ويشير إلى الاهتمام بالآخرة

أُسْنِدَ فعلُ الإيقانِ إلى فاعلِهِ مرَّتينِ في قولِه تعالى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وهما؛

إحداهما: إسنادُهُ إلى واوِ الجماعةِ.

والأخرى: إسنادُهُ إلى ضمير المبتدأ (هُمْ).

فتكون النِّسبَةُ مُكرَّرةً، وهو أحد مسالكِ التَّوكيدِ؛ تقويةً للخَبَرِ[3] واهتمامًا بأمر الآخرةِ؛ لِمَا لِلإيمَان بهَا مِن مَنْزلةٍ رفيعةٍ وشأنٍ خطيرٍ.

التَّعبيرُ عنِ الإيقانِ بالآخرة بالجُملة الاسمية آكَدُ وأدلُّ على الثُّبوت

ويُؤيِّدُ تقويةَ الخبر: التَّعبيرُ عن إيقانهم بالآخرة بالجُملة الاسمية ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾، بخلاف ما قبله فالتَّعبير كان بالفعليَّةِ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، والجملة الاسميةُ أقوى وآكدُ وأدلُّ على الثّبوت[4].

ويؤيِّدُ الاهتمامَ: التَّعبيرُ عَنْهَا بالإيقانِ، دُونَ الاكْتِفَاء بالوصف السَّابقِ وهو الإيمانُ؛ لِأَنَّ مادَّة الإيقانِ "تُشْعِرُ بأَنَّهُ عِلْمٌ حاصِلٌ عَن تأمُّلٍ وغَوْصٍ الفِكْرِ في طريق الاسْتِدْلال؛ لِأَنَّ الآخرةَ لمَّا كانت حياةً غائبةً عَنِ المُشاهدةِ غريبَةً بحسَبِ المُتَعارَف، وقَد كَثُرتِ الشُّبَهُ التي جَرَّت المشركين والدّهريّين إلى نَفيها وإحَالَتها؛ كانَ الإيمان

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/240.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/33، والقِنَّوجيّ، فتح البيان: 1/84-85.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/241.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/71.

بها جَديرًا بمادَّةِ الإيقان؛ بِنَاءً على أنَّه أخَصُّ مِنَ الإيمان، فلِإيثار ﴿يُوقِنُونَ﴾ هنا خصوصيَّةٌ مناسِبَةٌ لبلاغة القرآن"[1].

**بلاغةُ ذِكرِ الضّميرِ في قولِه: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾:**

ذُكرَ ههنا الضَّميرُ (هُمْ) مع ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، ولم يَرِدْ مَعَ الإنفاقِ في قولِه قبلُ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ "لأنَّ وصفَ إيقانِهم بالآخرة أَعْلَى مِن وصفهم بالإنفاق، فاحتاجَ هذا إلى التَّوكيد ولم يحتج ذلك إلى تَأْكِيد، ولأنَّه لو ذَكَرَهم هُناك لكَانَ فيه قَلَقٌ لفظيٌّ؛ إذْ كان يكون (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ هُمْ يُنْفِقُونَ)"[2].

اليقينُ أعلى درجةً من الإنفاقِ، والإنفاق ثمرةٌ من ثمراتِه

**دلالة الاسميّة على الثَّبات والدّوَام:**

التَّعبيرُ بالجملةِ الاسمية في قوله: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ مع ما فيه مِنَ التَّوكيد -كما سبق آنِفًا-: فيه الدّلالة على ثبات اليقينِ ودوامِه؛ "بحَيْثُ لَا يَضْطَرِبُ ولا يتَزَعْزَع، ولا يُنْسَى ذلك اليومُ أبدًا"[3]، من خواطرِهم وقلوبِهم.

يقينُ المُتّقين بالآخرة لا يَريمُ ولا يبرَحُ ولا يتزحزَحُ

## ❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

**نَزَّلَ وَأَنْزَلَ:**

مصدر الفعل (نَزَّلَ): التَّنزيل، ومصدر (أنزل): الإنزال، والفرق بينهما: أنَّ التَّنزيل لِمَا يكون مُفرَّقًا أو تدريجيًّا، والإنزالَ لِمَا يكون دُفعةً واحدة[4]، وهذا هو المُعَبَّر عنه بقولهم: التَّنزيلُ تدريجيٌّ، والإنزال دَفْعِيٌّ.

التَّنزيلُ لِمَا يكون تدريجيًّا، والإنزالُ لِمَا يكون دُفعةً واحدةً

وذهب الرَّاغِبُ في تفسيره إلى أنّهما بمعنًى واحدٍ، وإنَّما غُوِيرَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/240.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/71-72.
(3) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/112.
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (نزل)، وأبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 79، والجرجانيّ، التّعريفات، ص: 68، والخفاجيّ، عناية القاضي: 1/3، 2/3، والزّبيديّ، تاج العروس: (نزل)، وابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/340-341.

بينهما في نحو قول الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: 3]؛ لكَوْنِ حُكْمِ القرآن الكريم مؤبَّدًا، وهو مناسبٌ لـ (نزَّل)؛ فإنَّه بِنَاءٌ لِلمُبالغة، ولِمَا في التَّنزيل مِن معنَى التَّدريج -وهو ما سبق-[1].

وكلامُه في "المفردات" يَقْضِي أَنَّ بينَ الإنزالِ والتَّنزيل عُمُومًا وخُصوصًا مُطْلَقًا، فالتَّنْزِيل يكون تدريجيًّا، والإنزالُ أَعَمُّ مِنْهُ؛ فقد يدلُّ على معنى التَّدْرِيجِ وقد لا يدلُّ[2].

والظَّاهرُ الأَوَّلُ؛ وهو أَنَّ التَّنْزِيلَ تدريجِيٌّ والإنزالَ دَفْعِيٌّ.

ولا يُشكِلُ على هذا الفرقِ: أَنَّه وقعَ التَّعبيرُ عَنِ القُرآن الكريم بالفِعْلَيْنِ معًا؛ وذلك لأَنَّ لِلقُرْآنِ الكريمِ نُزولَيْنِ[3]:

أحدهما: نزولٌ دَفْعِيٌّ إلى السَّماءِ الدُّنيا.

والآخر: نُزولٌ تدريجِيٌّ بحسب الوقائع والأحداث.

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: (نزل).

(2) الرّاغب، المفردات: (نزل).

(3) أبو شامة المقدسّي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلَّق بالكتاب العزيز، ص: 17، والسّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 1/146.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»